بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أذكر هذه الليلة[1] رواية عن الإمام السجاد (ع) ثم بعد ذلك أحاول أن أستفيد منها إن شاء الله للإشارة إلى مسألة ترتبط بالإمامة

يروى أنه (ع) قال: (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة – كل إنسان في كل نَفَس يقترب من الآخرة وينتقص بقاؤه في الدنيا ويبتعد عنها شيئا فشيئا **– ولكل واحدة منهما بنون –** للآخرة بنون وللدنيا بنون **– فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا...)[2]**

أحاول أن أستفيد من هذا المقطع من الرواية لبيان ذلك الأصل الذي نحن بصدده، هذا النوع من الروايات عادة حينما يسمعها الإنسان أو يقرأها يأتي بباله أن يستفيد منها كموعظة، الموعظة ترقق القلب وتخفف من طغيان بعض الأمور في النفس، فيكون هذا أقصى ما يحصل عليه من الرواية بل حتى أن هذا الأثر لا يحصل في أغلب حالات الناس

شخص آخر قد يستفيد من هذه الرواية، ولكن الاستفادة بالطريقة التي يطلبها الصوفية، فهم يسعون لترويض أنفسهم ترويضا ليكونوا كما في الرواية، لأن الزهد أحد المقامات التي يسعى لها المتصوفة هكذا يكون، لذلك يبدو من هذه الرواية كأنها منهج عملي تقول أيها الإنسان كن هكذا وعِش هكذا، ولكن في هذه الحالة سوف يواجه الإنسان مشكلة وهي أن العمل وفق هذه الرواية غير ميسور وليس قابلا للتطبيق في الواقع، فكيف يستطيع الإنسان – خصوصا إذا كان له عائلة – أن يتخذ الأرض بساطا والتراب فراشا؟!

دعنا نسأل: هل الأئمة (ع) كانوا يريدون أن تكون الحياة بهذه الطريقة؟ وهل كانت في عهد النبي (ص) الحياة المثالية للمؤمنين هكذا؟ الجواب لا، لكن بطبيعة الحال هذا السؤال ينطرح لمن لا يعرف الإمامة، لأن الذي يعرف الإمامة – بدرجة – يعرف أن ما يقوله الإمام (ع) يتضمن شيئين: إما بيان الواجبات والمحرمات

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث بتاريخ ٢٨ من شهر محرم ١٤٢٨، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء، وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) الكافي (١٣١/٢)

والمستحبات وغيرها من الأعمال الظاهرية، فبهذا يكون الإمام مبينا للأحكام الشرعية فقط لا إماما يؤمّك، يعني إذا أنت عرفت منه الأحكام الشرعية تستطيع أن تعمل بها وتستغني عنه

والشيء الثاني هو أن الإمام له دعوة يدعو إلى سبيل وطريق معيّن وفي هذا الطريق توجد كثير من الأشياء تدفعك للحركة، فالإمام يرغّبك في هذا السبيل ويدفعك إليه

أنت كذلك في حياتك الطبيعية تفعل هذا الشيء، فأنت تارة تطلب ممن أنت تتولى أمره – ابنك مثلا – أن يفعل أشياء محددة تقول له افعل هذا ولا تفعل هذا، وتارة أخرى تطلب منه السعي إلى أن يستهدف شيئا ويسعى إلى أمر وإلى هدف معيّن، فأنت تفعل الشيئين معا وهذا طبيعي ومتعارف، فالإمام (ع) حينما يقول (كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونون من أبناء الدنيا) فهو يدعو إلى سبيل واتجاه معيّن، لأنك لا تستطيع أن تطبّق الرواية وإنما تستطيع أن ترغب في مضمونها وتحبه

فأنت أمام أمرين أمامك نجدان، الأول: هو أن تسعى في الطريق الذي يسير عليه الأئمة (ع) ويدفعون باتجاهه لترغب فيه وتحبه بحيث لا تضرك مظاهر الدنيا (تأخذ الأرض بساطا والتراب فراشا)، والثاني: هو أن ترغب في حياة مرفّهة كما يطلبها أهل الدنيا، هذان النجدان مختلفان في الاتجاه وإن تشابها في بعض الأشياء[٣]، يعني أنت إذا تنظر إلى مؤمن فتراه يأكل كما يأكل ذلك الشخص غير المؤمن، هذا العمل يشبه ذاك العمل لكن الشخص غير المؤمن يرغب في هذا النوع من الأكل أو اللباس بينما المؤمن لا يرغب فيه بل يرغب عنه ولا يريده

وأنت بشكل طبيعي تشعر وتعرف بفطرتك أي الطريقين يعطيك أمانا حقيقيا، لكن الإنسان أيضا بفطرته لا فقط يبحث عن أمن لنفسه بل أن هذا الأمن لا يحصل للإنسان إلا بأن يؤمّن غيره كذلك، وهذا كذلك من فطرة الإنسان، فأنت في الحياة الطبيعية هكذا تفعل مثلا حينما تجد شيئا مرغوبا تنشره وتريد أن يشاركك فيه غيرك، لكن المشكلة في أن الدين لا يُتعامل معه بهذه الطريقة

أنا لا أستهدف من هذا الذي بينته أن أُفهِّمه للشخص فقط، ليقول – مثلا – الآن فهمت فالمطلوب مني ليس هو أن (أتخذ الأرض بساطا) وأكون كذلك فعلا بل أن أحب هذا فقط لأن الدين هو الحب والبغض، وهذا الآن عرفته وسأسعى لأن أكون في داخل نفسي كذلك، هذا لم أقصده

---

[٣] بيّن السيد (رحمه الله) هذه المسألة في (**هكذا آمنت ٤**) في فصل (**متشابهات ومتشابهون**)

فما استهدفته هو أن أبيّن أن الإمامة دعوة[٤] وليست بالصورة التي يُتعامل بها مع الدين، فمثلا أنا أريد أن أذكر الله عز وجل دائما، أريد أن أخشع لله في الصلاة مثلا، هذا مطلوب هذه طريقة، الإمامة تقول أنت لا تستطيع أن تفعل شيء بمفردك وبمعزل عن الأرضية الصالحة ولو حاولت فعل ذلك كنت متشنّجا متكلفا، وتقول لك: أنا أتعهد أن أوفّر لك أرضية لتستطيع أن تكون كذلك، تقول لك: كن معي وهنا تستطيع أن ترغب وتحب بشكل طبيعي وبلا تكلف، لأن الإمامة تربطك بتاريخ الأنبياء والأئمة والمؤمنين، تربطك بأمة وتجعل لك أخوة حقيقيين، في هذه الحالة فقط تشعر بأمان – وأنت بحاجة قبل كل شي إلى هذا الأمان – هنالك تستطيع أن تعمل وترغب وتحب

بمعرفة إمامة الأئمة (ع) وطريقة تعاملهم مع الدين تستطيع أن ترغب في حياة متقشفة زاهدة كما في هذه الرواية، أنت حينما تتعامل مع الدين كفرد ستواجه هذه المشكلة، الإمام يقول لك لابد أن تأتي الأمر من بابه، أنا أوفّر لك أرضية لتستطيع أن ترغب في هذا الأمر بشكل طبيعي، لأنك أنت بفطرتك ترغب أن تكون زاهدا، خلقتك هكذا، أنت مخلوق لأن تكون سيد الأشياء ولا شي يقيّدك، فطرتك هكذا، فأنت حينما تجد شخصا متحررا من القيود والتعلّقات الدنيوية التي يخضع لها الناس فهذا الشخص يدخل قلبك، نفسك مخلوقة بحيث تتفاعل معه فإذن أنت مخلوق هكذا

أنت كفرد لا تستطيع أن تتعامل مع فطرتك، فطرتك لا يمكن أن تنشط وتؤثر وأنت تعيش حالة التدين الفردي، الإنسان الفرد لا يستطيع أن ينشط وينمي ويزكي فطرته، مثلا أنت في حياتك جربت إذا تجد شخصا حرا لا يهتم بأمور الدنيا كما يهتم بها الناس لابد وأنك تتأثر به وتشعر في قرارة نفسك أن تلك الحرية أثّرت فيك وصغّرت الدنيا بدرجة في نظرك، من صغّرها؟ هذا الشخص الذي تأثرت به هو الذي شفعك

هنا توجد مشكلة وهي أن الشخص بعد هذا الكلام يقول إذن أنا أبحث عن أناس فيهم صلاح حتى أنا أصلح لأني بمفردي لا أستطيع، أنا كثير جربت أشخاصا قالوا أنهم كانوا يحاولون ولكن لا ينجحون، أما الآن مع إخوة مؤمنين كثير من الأشياء نقدر نفعلها وأشياء نقدر نتركها فنحن الآن في نعمة

هنا يوجد خلل فهذا ليس تعاملا إماميا، ارجع إلى فطرتك ستجد شيئا أساسيا فيها وهو الإحساس بالمسؤولية والقيام بأمر، هنا ستجد أن صلاحك كفرد لا يمكن أن يحصل إلا بأن تصلح غيرك، حتى مع الإمام تنصره وتنتصر به، بهذه النفسية يحصل الصلاح هذا هو الإيمان أؤمّن نفسي أؤمّن غيري، أؤمّن إمامي وأُؤمِن

---

[٤] أشار السيد (رحمه الله) إلى هذه المسألة في (هكذا آمنت ٤) فصل (الفرق بين الأئمة وغيرهم)

به، هذه هي فطرتك التي خلقك الله عليها، وكلما هذه الحالة نَمَت وزكت في الإنسان كان الإنسان أكثر صلاحا، فإذا عرفت هذا الصلاح فالصلاح فورا يجعلك تفكر في العالم كله وأن هذا الصلاح كيف تنشره، هنالك أنت تكون مؤمنا

ابحث عن المؤمن الذي يشفعك، ابحث عن الذي يرجعك إلى فطرتك ويعرّفك إمامة الأئمة ودعوتهم (ع)، لأن دعوة الأئمة (ع) هي العدل، والعدل تعرفه النفوس وموجود فيها، يوجد في فطرتك النزوع إلى العدل المتجسّد في إمامة الأئمة (ع)، تستطيع أن تعبّر عن إمامة الأئمة بالعدل، هذا النزوع هذا الحب هذا الميل موجود فيك، هذه الرواية تشير إلى هذا، في قرارة نفسك تحب أن تكون كمن (استلانوا ما استوعره المترفون)[٥]، هذا بشكل طبيعي نفسك تتجاوب معه وتجد فيه بغيتها، وهذا يتحقق بشرطين، الأول أن تجد من يقف معك ويذكّرك عمليا بفطرتك، والثاني أن تكون قائما بهذا الأمر الذي يفترض أن يكون أمرك

فمعرفة سبيل إمامك يتكفل ويهيئ لك الأرضية لترغب وتكون مع من (استلانوا ما استوعره المترفون)، هذا جرّبوه أيها الأعزة، لا تكونوا متخاذلين فالشيطان يريد أن يخذلنا، فطريقة الأئمة (ع) هي طريقة القيام طريقة النصرة، قم بالأمر وادع الآخرين للقيام له، هذه الرغبة أنت حققها، اصنع لك أخا هذا الأخ – لو كان سعيك صالحا – سينصرك، فبالتناصر فقط يحصل هذا، انتبهوا هذا شي رئيسي لأن كثير من التخاذلات التي تحصل نتيجة أن الشخص يتعامل مع الدين كفرد ويتصور بأن هذا هو التدين، بينما هو ملغي فطرته التي تدله أنه أساسا ليس مخلوقا فردا يهتم بنفسه فقط وإنما يوجد في داخل نفسه اندفاع للارتباط بأناس والكون معهم، فإذا تعامل الشخص مع فطرته بصورة صحيحة هذا يحصل، حاولت من خلال هذه الرواية أن أبيّن بعض الأساسيات المرتبطة بإمامة الأئمة (ع) وأذكرك بفطرتك، والحمد لله رب العالمين

---

[٥] أمالي الشيخ المفيد (٢٥٠)